

تمثيلات الإيديولوجيا في فلسفة العنف عند سلافوي جيچيك

The Representations of Ideology in Slavoj Žižek's Philosophy of Violence

بوجملين نصرالدين¹، عبد الغني بوالسكك²

مخبر حوار الحضارات والعولمة

¹ جامعة باتنة 1 (الجزائر)، nacereddine.boudjemline@univ-batna.dz² جامعة باتنة 1 (الجزائر)، boussekekabdelghani@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025/02/23 تاريخ القبول: 2025/05/08 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية البحث في الأسس الإيديولوجية التي انطلق منها "سلافوي جيچيك" لتوسيع المفهوم الشائع للعنف؛ أي العنف الذاتي الذي يعني الاستخدام الغير المشروع للقوة ضد الآخرين لإلحاق الأذى أو الضرر أو الإساءة المعنوية، ليشمل الظلم الاجتماعي باعتباره عنفا نظاميا متجذرا في البنى المؤسسية؛ التي تنتج وتعيد إنتاج علاقات الهيمنة والتفاوت الاجتماعي والسياسي.

لذلك نسعى من خلال هذا المقال إلى الكشف عن تصور "جيچيك" للطبيعة المركبة للعنف في النظام النيوليبرالي الرأسمالي، فالعنف بالنسبة إلى "جيچيك" ظاهرة معقدة تعمل على مستويين الذاتي والمؤسسي؛ لذلك فهو ليس ظاهرة عرضية أو انحراف عن المسار القانوني للمجتمع، بل بنية جوهرية متأصلة في علاقات الإنتاج والسلطة، إن العنف عند "جيچيك" يخترق كل جوانب الحياة المعاصرة، حيث تنتج الرأسمالية الفوضى العنيفة وتعيد هيكلتها لتلائم منطق السوق القائم على الإقصاء المستمر للعناصر الاجتماعية الغير ضرورية.

كلمات مفتاحية: سلافوي جيچيك، الإيديولوجيا، العنف، تمثيلات.

Abstract:

This research paper explores the ideological foundations from which Slavoj Žižek expands the common concept of violence—specifically, subjective violence, which refers to the illegitimate use of force against others to cause harm, damage, or moral offense—to include social injustice as a form of systemic violence rooted in institutional structures that produce and reproduce relations of domination and social and political inequality.

Therefore, this article aims to reveal Žižek's conception of the complex nature of violence within the neoliberal capitalist system. For Žižek, violence is a multifaceted phenomenon operating on two levels: subjective and institutional. It is not an incidental occurrence or a deviation from the legal order of society but rather an essential structure embedded in the relations of production and power. According to Žižek, violence permeates all aspects of contemporary life, as capitalism produces and restructures

violent disorder to fit the market logic of the continuous exclusion of unnecessary social elements.

Keywords: Slavoj Žižek, ideology, violence, representations.

*المؤلف المرسل: نصرالدين بوجملين

1. مقدمة

نلاحظ أننا في المرحلة الراهنة من التحولات السياسية العالمية الكبرى، المندرجة في إطار النظام العالمي الجديد، أصبح العنف جزء لا مفر منه من الحياة المعاصرة، وبالإضافة إلى الطابع القسري للعنف ووحشيته، فإنه يربكنا بخاصيتين رئيسيتين تعيقان أي تحليل نظري واضح، الأولى تفصح عن نفسها في أن العنف يبدو في الغالب عشوائيا ولا عقلانيا، ودوافعه غير مفهومة، أما الثانية فتتعلق بالمفهوم الشائع للعنف؛ الذي غالبا ما يوصف بأنه استخداما للقوة الجسدية، بهدف الإيذاء أو الإساءة، وعادة ما يشير المصطلح إلى التدمير القسري المتعمد الذي يمارسه الإنسان على الممتلكات أو إلحاق الأذى بالأشخاص؛ لذلك فغرضنا من هذا المقال أن نتناول العنف في النقاش الفلسفي المعاصر واضعين في الاعتبار الحاسم أن الأعمال الأفعال العنيفة لا يمكن إدراكها بصورة كاملة، لا من خلال التحليل العلمي التجريبي (مثل التحليل السوسيولوجي أو النفسي)، ولا من خلال التغطية الإعلامية لمظاهر العنف، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هناك عدد قليل من الطروحات النظرية القادرة على معالجة إشكالية العنف وفق مقاربة شاملة في وقتنا الحاضر، وذلك من خلال التوغل إلى ما هو أعمق من السطح الظاهر؛ الذي يركز في الغالب الأعم على العنف المرتكب من قبل فاعلين يمكن التعرف عليهم بسهولة مثل (الجرائم، الإرهاب، الاعتداءات، التطهير العرقي، وغيرها)؛ وتأسيسا على هذا ننطلق في هذا المقال من فرضية عامة مؤداها أن التحليل الفلسفي لإشكالية العنف يتطلب بناء مقاربة مغايرة تماما تتجه في مبدأها الأولي إلى التفكير في العنف كظاهرة رمزية متجذرة في بنية المنظومة القائمة، ومن أجل تحقيق هذا المبتغى، فإننا سنركز على المقاربة الفلسفية التي قدمها سلافوي جيچيك القائمة على إعادة صياغة مفهوم العنف بطريقة تمثل تحديا جذريا للفهم الشائع له، وقد تعدى ذلك إلى زعزعة ما يمكن اعتباره عنفا من الأساس. وفي ضوء هذا المعطى، تطرح أفكار جيچيك رؤية عميقة مغايرة للطروحات الفلسفية السائدة، خصوصا مساهمته البارزة في التنظير لمفهوم العنف.

وسنحاول هنا إبراز قيمة التحليل الذي قدمه جيچيك لإشكالية العنف في مختلف أعماله، من خلال رسم خريطة نظرية للعنف بكل أشكاله (الذاتي والموضوعي والرمزي)، مع تحليلها وكشف تأثيراتها في السياق الفلسفي المعاصر؛ لذلك فإن الهدف من هذا المقال يكمن في تقديم فهم شامل لنظرية العنف، وخصوصا التأكيد على أن هذا الأخير ينبثق من داخل النظام ذاته؛ بمعنى أن كل معنى عنيف له جذور عميقة في البنى

السياسية والاقتصادية لجميع الدول الليبرالية الديمقراطية في العالم؛ أي الكشف عن أصول العنف الإيديولوجي الذي تسبب فيه الليبرالية الرأسمالية العالمية. ضمن هذا الإطار، نتساءل ما طبيعة المسار الذي يمكن أن تتخذه العلاقة بين الإيديولوجيا والعنف؟ وكيف يمكن الكشف عن الأصول الإيديولوجية للعنف؟

2. السياق اللغوي والاصطلاحي لمفهوم العنف

جاء في لسان العرب أن "العنف من عنف: العنف الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، عنف وعليه بعنفه عنفا وعنافة وأعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيق في أمره، واعتنف الأمر أخذه بعنف" (منظور، لسان العرب، دت، صفحة 3132)، أما في المعجم الوسيط: فنقول: "عنف) به، وعليه عنفا، وعنافة: أخذه بشدة وقسوة، ولأمله وعيره، فهو عنيف، وجمع عنف(أعنفه) عنفه به، وعليه(عنفه): أعنفه(اعتنف الأمر): أخذه بعنف وأتاه ولم يكن له علم به، ويقال: اعتنف الطعام وفلان المجلس: تحول عنه". (مجمع اللغة العربية، 2004)

ما يلاحظ في هذه التعريفات اللغوية المقدمة للعنف أنها تنظر إليه بمثابة تجسيد لفرط استخدام الشدة والقسوة في التعامل مع القضايا والأمور بشكل عام ومع الأشخاص بشكل خاص؛ لذلك فهي تعتبره حالة خروج عن أطر التعامل الطبيعي أو الرفق، ومن ثمة فهو في آن واحد يمثل تجاوزا وانتهاكا للأطر القانونية والأخلاقية المشكلة للنظام الاجتماعي، بما تشتمل عليه من تبشير بالتعصب والظلم والأنانية واحتقار الآخر والتعدي عليه جسديا ومعنويا وخلق الفوضى العمياء، وكذلك من جانب أخرا انتهاك للحقوق المباشرة للأفراد وتعدي صارخ على كرامتهم وشرفهم.

أما في اللغة الانجليزية والفرنسية، فالعنف مشتق من اللفظة اللاتينية **violence** و **violencia** التي تدلّ على الاستخدام غير الشرعي للقوة، فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي، ورفض للقانون والعدالة والخضوع لأي سلطة، فهو خاصية الشخص الذي لا يقهر أو لا يمكن ترويضه، ويتضمن كذلك معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين. (etal, 1966, p. 982)

ويتضح مما سبق أن التعريفات المقدمة للعنف تُجمع في عمومها على ارتباط العنف بالقوة والقسوة، وهذا ما يجعل منه سلوكا سلبيا ومخالف للأطر القانونية والأخلاقية المتعارف عليها.

أما من الناحية الاصطلاحية فللعنف عدة تعاريف اصطلاحية، نذكر منها ما قدمه "أندري لالاند" في موسوعته الفلسفية بقوله "عنف(أذى) سمة ظاهرة أو عمل عنيف بالمعاني، ارتدت هذه الكلمة معنى أكثر تحديدا مند "فريدريك نيشته"، و"جورج سوريل" والنقابة الثورية الذين أدخلوا نظرات مضادة للاتجاهات أو الكواسح العقلية، ونادوا بالعمل المباشر "العنف" الاستعمال غير المشروع أو على الأقل غير القانوني للقوة،

عندما نكون نحن الذين نعيش في ظل قوانين مدنية مكرهين على إبداء أي عقد لا يوجبه القانون، يمكننا الارتداد عن العنف ومواجهته بفضل القانون (لاند ا.، 2001، صفحة 1554، 1555)، ويتضح من هذا التعريف أن هناك تمييزا في استخدام القوة بين توظيفها كأداة قمعية غير مشروعة وبين استخدامها كوسيلة لحفظ النظام والسلطة المشروعة، ويتضح من هذا التحليل أن معيار المشروعية لا يرتبط بالقوة في ذاتها، وإنما بالغاية التي توظف من أجلها، فحينما يكون العنف موجها ضد النظام العام ويهدف إلى تفويض السلطة القائمة، فإنه يعتبر تعديا غير قانوني وغير مشروع، أما إذا كان استخدام القوة يندرج ضمن حماية سلطة مشروعة فإنه يصبح قانونيا. أما الموسوعية العربية فقد ورد فيها تعريف العنف ضمن مقال نشره أدونيس العكره إذ يقول هذا الأخير: "العنف هو استخدام القوة بصورة غير مشروعة أو غير مطابقة للقانون" (عكره، 1986، صفحة 625)، إن أدونيس العكره من خلال هذا التعريف عمد إلى تفكيك التصور التقليدي للعنف الذي يميز بين استخدام مشروع للقوة لحماية النظام، واستخدام غير مشروع يسعى إلى تفويضه؛ لكنه لا يكتفي بإعادة إنتاج هذا المفهوم بل ينتقده عبر طرح رؤية أكثر ديناميكية؛ حيث يرى أن العنف لا يحكم عليه من خلال موقفه من السلطة بل من خلال الغايات التي يخدمها، فبينما يعد القمع والاستبداد شكلا غير مشروع للعنف يصبح استخدام العنف والقوة في سياقات التحرر والثورة أداة مشروعة لإعادة التوازن وتحقيق العدالة.

ما نصل إليه من خلال التعريفات التي أتينا على ذكرها أنها تتفق على اعتبار العنف استخداما غير مشروع للقوة، وغالبا ما ينظر إليه بوصفه فعلا خارجا عن القانون، غير أن هذا التصور رغم هيمنته يظل اشكاليا؛ إذ يتجاهل الطابع النسبي للمشروعية بوصفها مفهوما لا ينفصل عن السياق السياسي والاجتماعي، ومن هنا يذهب عديد من المفكرين إلى التمييز بين شكلين من العنف؛ عنف مشروع يستخدم كوسيلة بناءة لإحداث تغيير جذري في مواجهة القمع والظلم، في حين أن الثاني رغم إمكانية تمتعه بالصفة القانونية يظل غير مشروع متى كان امتدادا لسلطة غير شرعية أو سلطة استبدادية.

3. السياق اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الإيديولوجيا

كان "ديستوت دي تراسي" الفيلسوف الأرستقراطي الفرنسي أول من صاغ مصطلح الإيديولوجيا في كتابه "مشروع عناصر الإيديولوجيا" سنة 1801، وأصل كلمة إيديولوجيا لاتيني حيث ينقسم إلى قسمين: **idéo** وتعني الفكر، و **logie** تعني علم؛ أي علم الأفكار، وقد تأثر "دي تراسي" بالفلسفة التجريبية لـ "جون لوك"، بالإضافة إلى إعجابه الشديد بمذهب الفيلسوف الفرنسي "كوندياك" الذي يرد كل معرفة أو إدراك إلى أصول حسية خالصة. (أنور، 2002، صفحة 03)، وقد صاغ "دي تراسي" الثوري هذا المصطلح أثناء تواجده

في زنزانه، راسخ الإيمان بأن العقل وليس العنف هو المفتاح لإعادة البناء الاجتماعي، ولا بد أن يحل العقل محل الدين، وهذا يعني أن وصاية العقل والروح لا بد أن تنتزع من الكهنة وتستثمر بدلا من ذلك في نخبة من المتخصصين الذين يكونون-إن جاز التعبير-مهندسين فنيين للوعي الاجتماعي-، لقد كان لعلم الإيديولوجيا الذي ولد في خضب دماء الثورة الفرنسية واضطراباتهما أول محاولة لتنظيم هذا المشروع في العصر الحديث، (eagleton, 1994, p. 03) وبموجب هذا الحكم الذي أصدره "تيري أيجلتون" في مقدمة كتابه "ideology" يصح القول أن الإيديولوجيا تنتمي إلى الحداثة، أو بصيغة مكثفة إلى هذا العصر الجديد الموسوم بالشجاعة العقلانية العلمية العلمانية التي تهدف إلى تحرير الرجال والنساء من غموضهم ونزعاتهم اللاعقلانية واحترامهم الزائف لله والارستقراطية والحكم الملكي المطلق، وفي الآن ذاته استعادة كرامتهم ككائنات عاقلة، حرة وواعية قادرة على تقرير مصارها بنفسها، فهي كما يصفها أيجلتون "الثورة البرجوازية على مستوى العقل ذاته، وطموحها لا يقل عن إعادة بناء ذلك العقل من القاعدة إلى القمة، وتحليل الطرق التي نستقبل بها بيانات حواسنا وتجميعها من أجل التدخل في هذه العملية وتحويلها إلى غايات سياسية مرغوبة" (eagleton, ideology, 1994). إن ما يبرز في تعريف دي تراسي للإيديولوجيا هو إضفاء الطابع الإيجابي عليها جاعلا منها علما يُعنى بدراسة بنية الأفكار وتحليل قوانين تشكلها في إطار الظواهر الواعية، وهذا التصور يضع الإيديولوجيا في موضع قريب من الفلسفة نظرا لما تتضمنه من ممارسات نقدية تهدف إلى التقصي عن الحقيقة والكشف عن القوانين التي تحكم الفكر، وهذا ما أكدته "أندري لالاند" في موسوعته الفلسفية؛ إذ ربط ظهور مفهوم الإيديولوجيا بـ"دي تراسي" الذي أراد لها أن تكون علما حقيقيا يتولى مهمة دراسة الأفكار في علاقتها بالوعي، كما ركز على البعد المعرفي لها، فالإيديولوجيا عند دي تراسي تنفر من الطابع السلبي التحقيري، وتلبس ثوبا ابستمولوجيا شبيها بحال البحث عن الحقيقة الأولى في الفلسفة. (لالاند أ، موسوعة لالاند الفلسفية، د.ت، صفحة 11) غير أن هذا الطابع الإيجابي لمفهوم الإيديولوجيا سرعان ما بدء يتغير مع اعتلاء نابليون بونابارت عرش الحكم في فرنسا، واخذ في الانزياح أكثر نحو المعنى التحقيري؛ ولعل هذا الحكم يجد تبريره القاطع في استخدام نابليون عبارة الإيديولوجيين كوسيلة ازدراء للنيل من الفلاسفة والمفكرين المعارضين لحكمه والمدركين لحقيقة سياسته التوسعية الاستعمارية وتناقضاته السياسية، وضمن هذا السياق يقول أيجلتون "قد تكون الإجابة، باختصار، نابليون، فمع إحكامه لبساطته الاستبدادية أصبح الإيديولوجيون الفرنسيون خصومه اللدودين، ودخل مفهوم الإيديولوجيا ذاته ميان الصراع الإيديولوجي". (eagleton, ideology, 1994, p. 05)، أما "كارل مائنهايم" فيشير إلى أن هذا التحول لم يكن مجرد انحراف دلالي، بل كان جزءا أساسيا من صراع أوسع بين الفكر والسلطة. (مائنهايم، 1980، صفحة 145).

مع بداية القرن التاسع عشر انتقل عرش الفكر الفلسفي إلى ألمانيا- بعد أن ظل لعقود متأرجحا بين فرنسا وإنجلترا- أين تم استبدال مركزية العقل بمركزية التاريخ بوصفه المجال الخصب الذي تتجلى فيه الحقيقة المطلقة، وكان لهذا التحول تأثير عميق على دلالات الإيديولوجيا- خاصة مع كارل ماركس- الذي منحها مضمونا ماديا جدليا مرتبطا بالبنية الاقتصادية والاجتماعية، ولم تعد الايديولوجيا في رأيه مجرد منظومة فكرية، بل تأويلا للمعارف بمقتضى المصالح على حد تعبير طيب التيزيني. (تيزيني، 2005، صفحة 17)؛ أي أصبحت تعبيرا عن المصالح الطبقية وأداة للهيمنة الاجتماعية توظفها الطبقة السائدة للتستر على بنيتها الاستغلالية، غير أن هذا بالنسبة لماركس ليس قدرا محتوما ، وإنما يمكن اختراقه عن طريق ثورة الطبقة العمالية الكادحة .

ما يمكن قوله أن المفهوم الماركسي للإيديولوجيا ينطوي على معنى سلبي، فهي ليست زيفا محضا بل تعمل على إعادة تشكيل التناقضات الاجتماعية بطريقة تحجب طبيعتها الحقيقية، وبالتالي فهي تمثل عرضا بنيويا يكشف عن التناقضات والتوترات داخل البناء الاجتماعي.

أما رؤية جييك لمفهوم الإيديولوجيا فتمثل نقطة تحول مفصلية في فهمها، حيث ينفصل عن الطروحات الماركسية التقليدية القائمة على الفصل بين الاقتصاد والثقافة (البنية التحتية والبنية الفوقية) باتجاه رؤية أكثر تكاملية، وحتى مع التعديلات التي أقرها "غرامشي" و "ألتوسير" ظل هناك نوع من الاعتراف بهذا الانفصال وإن كان بصيغة مرنة؛ لكن في مستوى الإيديولوجيا في ذاتها ولذاتها يصعب رسم حدود فاصلة بين البنية التحتية والبنية الفوقية (الاقتصاد والثقافة)، حيث تتحول الإيديولوجيا إلى بنية متغلغلة ومتجذرة في الواقع ذاته، ولا تحدد هذه الأخيرة كيف نفكر فقط بل كذلك كيف نعيش ونختبر العالم، وبالتالي تصبح الإيديولوجيا نظاما شاملا يصوغ الواقع، بحيث يصعب تخيل بديل جذري للوضع القائم، وفي هذا الصدد يشير "سلافوي جييك" إلى مفهوم "صنمية السلع"؛ حيث يأخذ هذا المفهوم إلى مستوى أكثر عمقا، بحيث أن صنمية السلع ليست مجرد نتيجة للإيديولوجيا الرأسمالية؛ أي ليست مجرد عرض كما كان يعتقد، بل هي الإيديولوجيا ذاتها وقد تجسدت في بنية الاقتصاد نفسه؛ أي أصبحت أيديولوجيتها الخاصة وبالتالي تحولت إلى صنم. (Sharpe, Slavoj Žižek a little piece of the real, 2004)، وهكذا ينتقل جييك في تفسيره للإيديولوجيا من مستوى "المعرفة" إلى مستوى "الفعل"؛ فإذا كان الطرح الماركسي يؤكد أن الإيديولوجيا الرأسمالية تنتج وعيا زائفا في أذهان أفراد الطبقة الكادحة ، بحيث يفعلون ما لا يعنون فإن "جييك" يرى أن الايديولوجيا تقدم نفسها بمثابة صنم يجسد باستمرار "وعيا زائفا"؛ لكنه يتمظهر فقط في الطريقة الخادعة والواعية لإدراك أفراد الطبقة الكادحة لواقعهم، فتمثل هذه الأخيرة طواعية لواقعها دون شك في أسسه وحقيقته، وفي هذا الشأن يؤكد جييك: "تجسد الإيديولوجيا الواقع، وليست مجرد تمثيل وهمي للواقع، ومن ثمة يتعين النظر إلى الواقع ذاته على أنه قوة تدخل في مسار وعينا مجموعة من الأوهام-أي أنه متجسد في قالب ايديولوجي-وهذا الأخير

يمثل واقعا اجتماعيا واقتصاديا معيننا يزعم الخاضعون له أنهم لا يعرفون جوهره (...) ومن هذه الناحية ليست الإيديولوجيا وعي زائف بطبيعة الواقع، وإنما هي ذلك الواقع نفسه بقدر ما يدعمه الوعي الزائف". (Žižek, the sublime object of ideology, 1989, pp. 15-16)

4. أشكال العنف في فلسفة سلافوي جيچيك

يعلن جيچك في مستهل كتابه "العنف: تأملات في وجوه الستة" بصيغة عامة، أن التفكير في مسألة العنف قد اقترن المخيال العام بالأفعال الاجرامية والظلم الموجه إلى الآخر والممارسات والارهابية والحروب وغيرها من مظاهر العنف الذاتي، غير أن فهما حقيقيا وأعمق لمسألة العنف ينبغي في نظره أن يتجاوز الجاذبية المغربية لسحر العنف الذاتي إلى ضرورة مقارنته من حيث هو ظاهرة سياسية وإيديولوجية تشتمل على بنية معقدو، وفي هذا الشأن يقول جيچيك: "النقطة المحورية لهذا العمل ، أو بالأحرى فرضيته الأساسية تتمثل في أن العنف الذاتي يمثل فقط الجانب الأكثر وضوحا من ثلاثية تتضمن نوعين آخرين من العنف الموضوعي، أولى هذه الأنواع هو العنف الرمزي الذي يتجلى في بنية اللغة وأشكالها...ثانيا هناك ما أميل إلى تسميته بالعنف المنهجي، وهو العنف المرتبط بالآليات المتناسكة لأنظمتنا السياسية والاقتصادية، والذي يعكس بوضوح تأثيراتها المدمرة" (Slavoj, 2008, p. 11)، إن هذا النص يفضي بنا إلى القول أن "جيچك" يعتبر أن العنف النظامي يميل أن يكون غير مرئي، لأنه يمثل الحالة الطبيعية للأوضاع القائمة والخلفية؛ التي تجعلنا نرى العنف الذاتي كعنصر مزعج، ومع ذلك فإن الرعب الطاعي لأعمال العنف والتعاطف مع الضحايا يعملان بل هوادة كإغراء يمنعنا من التفكير النقي الحقيقي في مسألة العنف، ويفصح هذا الإجراء عن نفسه بشكل جلي في النقد الفلسفي لظاهرة العنف؛ أين يتم موضوعة هذه الأخيرة في غير محلها من خلال نقد ظاهرة أخرى بدلا من ذلك، وبالتالي الابتعاد عن النقد المباشر للعنف، ويؤكد جيچيك أن مثل هذه الظاهرة كانت موجودة دوما عند محاولة مقارنة العنف فلسفيا، ومثال ذلك فصل حنة أرندت العنف عن السلطة والقوة، واعتبار التنفيذ الميزة الأساسية للعنف سواء من طرف الشخص أو المؤسسة تقول حنة أرندت "إن العنف كونه أدواتيا بطبيعته، هو عقلاني بقدر ما يكون فعالا في الوصول إلى النهاية التي يجب أن تبرره" (Arendt, 1970, p. 79)، ونفس المشكلة تم تحليلها من قبل "ولتر بنيامين" في مقالته نقد العنف، يثير بنيامين سؤالا جوهريا حول ما إذا كان العنف في حالة معينة وسيلة لتحقيق غاية عادلة أو غير عادلة؟ وفي إطار تحليله يفصل بنيامين بين العنف بوصفه أداة لصنع القانون وبين العنف بوصفه وسيلة للحفاظ على القانون ، ويضيف مفهوما آخر سماه العنف الإلهي، هذا الأخير لا يحدد بغاية واضحة أو بمشروعية قانونية، بل يفصح عن نفسه كتمرد غير مقيد بمنطق الوسائل والغايات، وإذا كان يمكن تحديد النوعين الأولين بهدف واضح يتمثل في استغلال قوة القانون

على الرعايا، فإن النوع الأخير "العنف الإلهي" هو ثورة غير مصرح بها ضد هذه القوى، ولا يتم تحديدها بهدف واضح فهي ليست وسيلة بل مظهر للقوى الثورية التي تتجاوز الأطر القانونية التقليدية، (Benjamin, 1978, p. 277) وكما هو الحال مع أرندت تخضع مشكلة العنف عند "بنيامين" لمسألة المشروعية، ولا يمكن أن تعمل كمفهوم فلسفي قوي متفرد نظريا، ورغمما عن هذا النقص يعتبر جيжек أن هذين النموذجين يمثلان تحولا مهما في تطور العنف كمفهوم فلسفي، وهذا الأمر يفصح عن نفسه في نقطتين، أما الأولى فتتمثل في كون العنف لم يعد يقتصر على الأفراد أو المؤسسات فقط، بل يمكن استغلاله من قبل كليهما، أما الثانية فتتمثل في الإشارة إلى وجود نوع معين من العنف يتجنب أي مبرر (كوسيلة أو غاية)، ويعمل فقط كرد فعل على الظلم في أوقات معينة، وهذا يعني أنه لا يمكن فهم العنف أبداً بأثر رجعي، بل يجب تحليله في مجال المأزق الحالي، إن الفهم الحقيقي لبنية العنف في نظر "جيжек" تفترض التمييز بين ثلاثة أنماط من العنف هي: العنف النظامي، العنف الرمزي، لعنف الذاتي.

1.4 العنف النظامي

ويصح في هذا النوع الإشارة إلى مفاتيح فيه لها من الأهمية ما يجعله إطارا عاما ومرجعا مهما لهذا النوع من العنف، ومنها النظر إليه في إطار مفهوم الدولة، وهذا من شأنه الإشارة إلى أن الدولة تقوم في مبدئها التأسيسي على العنف، وعلى النظر إليه بوصفه مبتدأها ومنتهأها الحقيقي، وهذا ما أكد عليه ماكس فيبر في تعريفه للدولة الحديثة "تلك الجماعة البشرية التي تنجح ضمن حدود اقليم معين في احتكار الاستخدام المشروع للعنف المادي"، وفي نفس السياق أكدت النظرية الماركسية التقليدية على العلاقة التضائية بين العنف والدولة، وفي هذا المجال اعتبرت حنة أرندت أن العنف لم يعتبر أمرا أساسيا للثورة حتى وقت قريب، ووفق النظرية الماركسية، فإن العنف الثوري هو الوسيلة الحديثة لتحقيق وجود مجتمع عادل (Valentić, 2008, p. 02)، أما بالنسبة "لجيжек" فالعنف ليس نتيجة ثانوية أو عرضية للرأسمالية النيوليبرالي بل هو ضرورة متجذرة في بنية النظام نفسه، وعلى هذا الأساس فإن إدانة العنف ووصفه بالسوء عملية أيديولوجية بامتياز تستهدف تكريس الغموض وجعل الأشكال الأساسية للعنف غير مرئية (Žižek S., Violence: Six Sideways Reflections, 2009, pp. 1-2)، فالرأسمالية تحاول أن تحب تناقضاتها البنيوية وتغطي فشلها وعيوبها بتحويل العنف السيء إلى رأسمالية جيدة يقول جيжек "ولهذا لا يجب أن ننخدع من قيام بعض الرأسماليين والمستثمرين من المهتمين بالعمل الخيري بالتبرع بالملايين لمحاربة مرض الإيدز، أو لتدعيم ثقافة التسامح مثلا، لأن تلك الممارسات تخفي في حقيقتها قناعا زائفا بسبب التشوهات المتسببة فيها للرأسمالية، فهؤلاء هم أنفسهم من تسببوا في تدمير حياة الآلاف: بل الملايين من خلا المضاربات المالية، وهو الأمر الذي من

شأنه يساعد على ظهور المرض وزيادة التعصب(...)ومن هنا يتعين علينا أن نقف على الجذر الأصلي للعنف الذي يؤدي إلى وقوع هذه الأمراض والشروع، وهو الجذر الذي يكمن أساسا في البنى والمؤسسات الرأسمالية" (Žižek S. , Violence: six sideways reflections, 2008, pp. 36-37)، إذن يتوافق العنف النظامي مع النتائج المأساوية للرأسمالية المعاصرة" تكشف هذه المفارقة عن أزمة جوهرية تخص الرأسمالية المعاصرة؛ إذ لم تعد هذه الأخيرة قادرة على إنتاج ذاتها من داخل بنيتها الاقتصادية، بل باتت تعتمد على نحو متزايد على تدخلات خارجية لا تنتمي إلى منطق السوق مثل الأعمال الخيرية والمساعدات الانسانية من أجل الحفاظ على استمرارية دورة الانتاج الاجتماعي، وهذا الحال يكشف عن تناقض جوهري في منطق الرأسمالية الليبرالية، فبينما تدعي أنها نظام اقتصادي مستقل بذاته أصبحت تعتمد على عناصر خارجية لضمان استمراريتها؛ غير أن هذا التوهج لأعمال البر والإحسان ليس سوى ممارسات للتعمية الإيديولوجية التي تهدف إلى الحفاظ على صورة النظام، ككيان قادر على احتواء وإدارة أزماته من داخله دون الحاجة لأي تغيير راديكالي، وضمن هذا السياق لا يُنظر إلى العنف النظامي كانهزاف أو استثناء أو خروج مؤقت عن الحالة الطبيعية، بل باعتباره ضرورة ملازمة لمسار الرأسمالية ذاتها، والمآسي الناتجة عنها لا يمكن اختزالها في كونها مجرد حوادث عرضية، بل تمثل التعبير الأكثر صدقا عن منطقها الداخلي، فالرأسمالية الليبرالية رغم ادعاءها تحقيق الرفاه والتقدم تجد نفسها دائما في حاجة إلى الاقصاء والاستغلال كوسائل لاستمراريتها، مما يجعل العنف أحد أنظمتها التأسيسية ومتأصل في بنيتها الجوهرية، ويعطينا جيغك أمثلة عن ذلك مثل الانهيار المالي سنة 2008 التي أدت إلى تفاقم البطالة والتشرد في جميع أنحاء العالم مما أجبر الدول القومية على تنفيذ تدابير تقشفية أدت إلى مزيد من التخفيضات في القطاع العام.

إن "جيغك" لا يرجع تصاعد وتيرة الإرهاب في العالم إلى الإرهاب الديني فقط، بل إن الرأسمالية الليبرالية هي الأصل الأول لهذا العنف، فصعود العنف والإرهاب في العالم كان النتيجة الطبيعية للتواطؤ الأمريكي مع التنظيمات الإرهابية المتشددة. (جيغك، 2013، صفحة 19) لذلك فإن النظام العولمي-خاصة في صورتها النيوليبرالية الرأسمالية- ليس مجرد فضاء مفتوح للتبادل الحر والتنوع الثقافي كما يروج له أنصاره، بل إن العولمة آلية تعمل على إعادة انتاج الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية على نطاق عالمي، وبهذا المعنى تصبح العولمة نظاما يخفي العنف البنيوي العميق الذي يمارس تحت ستار الحرية والانفتاح. (Žižek, 2002, p. 55)

ما نخلص إليه أن الأشكال الظاهرة للعنف الاجتماعي أو السياسي لا يمكن فهمها عند انتزاعها من إطار العنف النظامي المتجذر في بنية النظام الرأسمالي، وهذا ما دفع أدريان جونستون إلى اعتبار العنف الإيديولوجي

سوء في صورته الاجتماعية أو السياسية ما هو إلا امتداد للعنف الاقتصادي، ويتمظهر هذا العنف في أشكال مختلفة مثل العنف القومي، الثقافي والاجتماعي، وجميعها تعيد انتاج الهيمنة الإيديولوجية التي تحافظ على استمرارية النظام الرأسمالي. (Johnston, 2008, p. 132)

2.4 العنف الرمزي

يطرح "جيجك" مفهوم العنف الرمزي بوصفه عنفا متجذرا في طبيعة اللغة ذاتها، وفي هذا الشأن يقول جيجك: "إن هذا العنف لا يقتصر على الحالات الواضحة-والتي خضعت لدراسة مكثفة-كخطابات التحريض أو علاقات الهيمنة الاجتماعية التي يعاد انتاجها في انماط الكلام المألوف لدينا، بل هناك شكل أكثر جوهرية من العنف يرتبط باللغة نفسها، وبفرضها لعالم دلالي محدد". (Žižek S. , 2008, pp. 1-2)، وما نستشفه من خلال هذا الطرح إن العنف لا تنحصر ممارسته في مجموع الأفعال المادية الظاهرة بل يتجلى كذلك من خلال اللغة ذاتها بوصفها أداة لإنتاج وإعادة انتاج أنظمة المعنى التي تشكل الإدراك السياسي والاجتماعي للواقع، فاللغة بالنسبة لجيجك تتجاوز دورها التواصلية إلى فرض إطار إكراهي يرسم حدود الفهم والمعنى ما يجعلها أداة للهيمنة والضبط الاجتماعي. إن هذا التحليل "الجيجيكي" للعنف الرمزي يستند في جوهره إلى مقولات التحليل النفسي اللاكاني أين يتم إدراج اللغة كبنية فوقية تتجاوز عملية توصيف الواقع إلى تشكيله، ولا يقتصر دورها على وصف العالم بل تسعى إلى فرض أنموذج إدراكي يوجه كيفية فهمنا له، وفي هذا الشأن تكتسب وسائل الاعلام الجديدة أهمية خاصة فيما يتعلق بخطاب العنف، فليس هناك ضرورة لوجود تطابق بين الفعل العنيف وتمثيله الإعلامي، بل الأهمية تكمن في كيفية تقديم العنف وإدراجه ضمن السرديات الإعلامية كعملية إنتاجية تساهم في تشكيل تصورات الأفراد حول العنف ذاته، وهذا يفضي إلى طرح إشكالية العلاقة بين الحقيقة والخطاب الإعلامي ويجعل التلاعب بالمعنى أداة قوية في إعادة انتاج العنف الرمزي. (Bertašavičius, 2016, p. 264)، هذا الأخير حسب "جيجك" حسب جيجك عنف غي مرئي لأن الطريقة التي تطرح من خلالها وسائل الاعلام حكايات العنف تقف حاجزا يمنع التفكير النقدي في الاسباب الكامنة وراء العنف الذاتي خاصة في ظل انتشار الخطابات الداعية الى مجابهة العنف الذاتي بدلا من التفكير في أصل العنف الحقيقي. (Žižek S. , Violence: Six Sideways Reflections, 2009, p. 06)

3.4 العنف الذاتي

يشير مفهوم العنف الذاتي حسب "جيجك" إلى الممارسة المقصودة للقوة بغرض إلحاق الأذى بالأخر كالأذى الجسدي والاعتصاب والقتل، غير أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل يمتد إلى الأشكال المنظمة والمنهجية التي توظفها القوى السياسية والحركات الاجتماعية والجماعات الدينية المتطرفة وأعمال الجريمة المنظمة

والارهاب والاضطرابات المدنية والصراع الدولي، وفي هذا السياق يغدو العنف ليس مجرد حالة استثنائية أو خروج عن الأطر الأخلاقية المعتادة، بل كعنصر بنيوي متجذر في عمق الصراعات السياسية والاجتماعية؛ حيث يستخدم كأداة لإعادة توزيع موازين القوى وتشكيل المشهد السياسي والاجتماعي (Žižek S. , Violence: Six Sideways Reflections, 2008, pp. 10-14) يحذر جيچيك من أن هذا النوع من العنف المسمى "الذاتي" ليس سوى الجزء العلوي من جبل الجليد؛ إذ أنه يقدم نفسه لاعتباره الشكل الأكثر وضوحاً وبروزاً؛ لكنه لا يمثل في الحقيقة سوى سطح المشكلة مقارنة بالعنف الموضوعي الذي يعد أكثر تعقيداً وغموضاً لأنه يعمل وفق معايير إيديولوجية تقدم ذاتها بوصفها خالية من العنف، وهذا من شأنه أن يضفي على النظام النيوليبرالي صورة من الرخاء والسلام الزائف رغم أنه المسؤول الأول عن انتاج مظاهر العنف الذاتي كالجريمة والتمرد، ويستخدم في ذلك وسائل الاعلام للتلاعب بالتصورات العامة عن طريق ابراز مظاهر العنف الذاتي كحوادث منفصلة ناتجة عن الطبيعة الشريرة للأفراد (Bertašavičius, the production and consumption of violence in contemporary capitalism, 2016, p. 266)

إن العنف الذاتي، باعتباره فعلاً فردياً مباشراً، يُحمّل مرتكبوه في العادة مسؤولية أخلاقية كاملة عن الأذى الذي يتسببون فيه. لكن هذه الرؤية التقليدية تتسم بالتبسيط المفرط، إذ إنها تتجاهل الجذور الاجتماعية للعنف، مما يؤدي إلى استجابات أخلاقية سطحية وسريعة تشمل الغضب الأخلاقي الحاد والعقوبات القاسية، دون النظر في العوامل البنيوية التي تسهم في إنتاج العنف. وبالتالي، فإن المسؤولية الأخلاقية في حالات العنف الذاتي يجب أن تُفهم ضمن سياق أوسع يأخذ بعين الاعتبار التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر هذه الأفعال.

إن هذه الأشكال الثلاثة للعنف-العنف النظامي، العنف الرمزي، والعنف الذاتي—لا يمكن النظر إليها بوصفها كيانات منفصلة ومستقلة بل هي متداخلة في شبكة معقدة من العلاقات السببية والتأثيرات المتبادلة. فالقتل، على سبيل المثال، قد لا يكون مجرد فعل فردي ناتج عن نزعة عدوانية معزولة، بل قد يكون نتيجة حتمية لظروف معيشية قاسية، مما يجعله امتداداً للعنف النظامي الذي تفرضه الهياكل الاقتصادية والسياسية. وبالمثل، فإن فعلاً مثل الاغتصاب لا يمكن تفسيره فقط ضمن حدود الجريمة الفردية، بل هو في جوهره انعكاس للعنف الرمزي المتأصل في البنية الأبوية والهيمنة الذكورية التي تعيد إنتاج أنماط السيطرة عبر الأيديولوجيا والثقافة؛ بهذا المعنى، لا تُفهم أشكال العنف هذه إلا من خلال إدراك ترابطها الجدلي داخل بنية كلية متكاملة. فالعنف الرمزي، الذي يعمل عبر أنظمة التمثيل والخطاب، يُعيد تشكيل الفضاء الاجتماعي بطريقة تجعل العنف النظامي يبدو طبيعياً وغير مرئي، بينما يؤدي هذا العنف البنيوي إلى خلق ظروف تهيئ

لممارسة العنف الذاتي، سواء في شكل جرائم أو تمردات. ومن ثم، فإن أي محاولة لتحليل العنف بشكل معزول عن سياقه البنيوي والرمزي تؤدي إلى فهم قاصر لطبيعته وآلياته العميقة.

5. خاتمة

نستنتج في الأخير أن النقد الفلسفي للعنف من أقدم المسائل الفكرية التي استحوذت على اهتمام الفلاسفة عبر العصور، حيث طرحت مسألة العنف من عدة زوايا، غير أن مقاربة "جيجيك" لهذه المسألة تقدم منظورا متميزا؛ إذ يسعى من خلال تحليله الفلسفي للعنف إلى إعادة تعريفه في سياق معاصر. -إن رؤية "سلافوي جيجيك" للعنف في الإيديولوجيا النيوليبرالية الرأسمالية تمثل بعدا فلسفيا يتجاوز الفهم التقليدي للفهم كظاهرة مادية بحتة ليتموضع ضمن شبكة من العلاقات الإيديولوجية التي تعيد إنتاج بنيته ودلالته.

-إن القيمة الفلسفية لمشروع "جيجيك" تكمن في كسر التصورات التي تحصر العنف في الأفعال الفردية أو السياسية المباشرة، حيث يوسع جيجيك مفهوم العنف ليشمل العنف النظامي والعنف الرمزي. -يسعى "جيجيك" من خلال تحليله للعنف أن يفكك الوهم الإيديولوجي؛ الذي يجعل العنف غير مرئي في أشكال معينة لكنه مرفوض ومدان في أشكال أخرى، ومنه "فجيجيك" يقدم قراءة نقدية تكشف عن كيفية إنتاج العنف داخل المنظومات السياسية والاقتصادية دون أن يدرك كعنف حقيقي.

5. قائمة المراجع:

-المراجع باللغة العربية:

- كارل، مانهايم. (1980). *الايدولوجيا واليوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة*. (محمد رجا الدريني، المترجمون) الكويت: شركة المكتبات الكويتية.
- أحمد، أنور. (2002). *النظرية والمنهج في علم الاجتماع*. القاهرة: منشورات جامعة عين شمس.
- عكرة، أدونيس. (1986). *الموسوعة الفلسفية العربية*. الرياض: معهد الإنماء العربي.
- لالاند، أندري. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. بيروت-باريس: منشورات عويدات.
- سلافوي، جيجك. (2013). *سنة الأحلام الخطيرة*. لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- تيزيني، طيب. (2005). *بيان في النهضة والتنوير العربي*. لبنان: دار الفارابي.
- مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط*. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- ابن منظور، محمد. (دت). *لسان العرب*. مصر: دار المعارف.

-المراجع باللغات الأجنبية:

- Adrian Johnston. (2008). *Žižek's Ontology: Transcendental Materialist Theory of Subjectivity*. Evanston: Northwestern Univ. Press.
- C.Tontons et al. (1966). *the oxford dictionary english*. oxford: ckacrendon press.
- Hanna Arendt. (1970). *On violence*. San Diego: HBJ book.
- Matthew Sharpe. (2004). *Slavoj Žižek a little piece of the real*. England: ashgate.
- Salvoj Žižek. (2008). *Violence: six sideways reflections*. New York: Picador.
- slavoj Žižek. (200). *Violence: six sideways reflections*. New York: Picador.
- Slavoj Žižek. (1989). *the sublime object of ideology*. London: verso.
- Slavoj Žižek. (2002). *Welcome to the Desert of the Real! Five Essays on September 11 and Related Dates*. London: verso.
- Slavoj Žižek. (2008). *Violence: six sideways reflections*. New York : Picador.
- terry eagleton. (1994). *ideology*. london and new york: longmane.
- Tonči Valentić. (2008). Symbolic Violence and Global Capitalism. *international journal of zizek studies*. 5-1، (2)2،
- Valdas Bertašavičius. (2016). the production and consumption of violence in contemporary capitalism. *topos*. 272-261،
- Walter Benjamin. (1978). *Reflections: essays, aphorisms, autobiographical writings*. New York: Schocken books.